Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن مؤلف الخفاجى أعمق تفكيرا وأشمل فكرة وأوسع مدى وأبلغ بيانا . ـمن كتابى الجرجانى : الأسرار والدلائل .

ويذهب باحث إلى خلاف هذا الرأى فيقول فى ذلك ما نصه[1] :

وبعد فإنه لم يكن التأليف فى البلاغة قبل عبد القاهر قد استقل بالأبحاث البلاغية . وتخلص مما يشوبه من مواضع أخرى أدبية أو نحوية أو غير ذلك ، فكنت تجد الكتاب يحوى مسائل ليست من صميم العلم فى شىء ، وتجده غير منظم التنظيم الذى استحدث فيما بعد ، وكتاب سر الفصاحة من هذا النوع ، يذكر مسائل من صميم المعانى فيما هو من مباحث البيان ، ويقحم المسائل البديعية فى غيرها مما هى من موضوع البيان والمعانى ، ويضيف إلى ذلك نقولا أدبية ، وبحوثا هى إلى الأدب أقرب منها إلى غيره ، فنراه يتكلم عن المفاضلة بين شعر المتقدمين والمحدثين ، ويوازن بين المنظوم والمنثور ، ويذكر الكميت والطرماح وابن حكيم وعدم احتجاجهم بشعرهما ، ويتحدث عن عيب النقاد على جرير والفرزدق طول مقامهما فى الحضر إلى غير ذلك وهذا هو الطابع العام لكتاب « سر الفصاحة » وهو وإن كان متأثرا بطريقة عصره ومذهب السابقين عليه . إلا أننا حين نوازن بينه وبين عبد القاهر ، وكلاهما معاصر لصاحبه . يعيش معه فى بيئه واحدة ، وتظلهما ثقافة واحدة أو متقاربة ، نجد الثانى سبق الأول بأشواط بعيدة فى هذا المضمار ، وذلك أن الجرجانى قد استوفى أبحاثا بلاغية فى كتابه . مما خلا سر الفصاحة منها . كالمجاز المرسل والمجاز العقلى والفصل والوصل والخبر والانشاء . إلى غير ذلك مما لم يتحدث ابن سنان عنه ، وظهرت فى كتب عبد القاهر ميزات لم يتمتع بها سر « الفصاحة » ، من تخليص العلم من الأمور الأجنبية عنه ، ومن قربه إلى التحديد العلمى والتنسيق المنظم . والاستيفاء الشامل ، ولكن لعل من الإنصاف أن نلتمس للخفاجى فى ذلك عذرا ، فقد كان واليا ، ونحن وإن كنا لم نعرف مدة ولايته . إلا أنها على أى حال قد شغلت نفسه كثيرا . وقد كان الخفاجى شاعرا ، وللشاعر نزعة هى وحى الإلهام وسنوح الخاطر .

---

(١) من بحث نشره د . كامل الفقى فى مجلة الأزهر عن ابن سنان عام ١٩٤٨ .